مدرسة الحروفية في الجزائر الخطاط خالدي خالد أنموذج

Alphabet School in Algeria Calligrapher Khaldi Khaled is a model

الواكل محمد رضا *

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، louakkelr@gmail.com

أ.د.طرشاوي بلحاج

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، hadjtar@yahoo.fr

تاريخ الارسال2021/03/15 تاريخ القبول 23/ 08/ 2021 تاريخ النشر2021/09/27

ملخص:

نلج في الدراسة التالية إلى إبراز فن من الفنون التي طورت الخط العربي وبرزت جانب مهم في جمالياته من خلال استخدامه كعنصر بياني في الأعمال الفنية المستندة على النزعة التجريدية، فأصبحت الحروفيات هاجس الكثير من الفنانين والخطاطين على حد سواء لما تضيفه من قيم جمالية للفن التشكيلي وقد شاع أثرها وعمّ لدى نخبة من الفنانين العرب وحظيت باهتمام كذلك باهتمام الفنانين الغربيين، لتثار بذلك عدة إشكاليات لعلها قدرة الحروفية العربية على إحداث أثر فني جمالي في الفنون التشكيلية.

الكلمات المفتاحية: الخط العربي، الحروفية، الجزائر، الخطاط خالدي خالد

Abstract:

In the following study we enter into highlighting an art from the arts that developed Arabic calligraphy and highlighted an important aspect in its aesthetics through its use as a graphic element in artistic works based on abstract tendency. Its impact was felt by a group of Arab artists, and it also received attention with the attention of Western artists, thus raising several problems, perhaps the ability of the Arabic letterpress to create an aesthetic artistic effect in the plastic arts.

Keywords: Calligraphy, Lettering, Algeria, Calligrapher Khaldi Khaled

1. مقدمة:

إنّ الخط العربي، هذا الفكر الساكن كما يقول المؤرخون، يقف شاهدا على مابين الفن والحضارة من صلة، والإبداع الفني والجمالي للحروفية في الخط العربي ترمز في بعدها المادي إلى مجهود الإنسان عبر المراحل التاريخية التي مرّ بها الخط العربي، وقد بدأت قصة تطور الخط العربي وأنماطه المختلفة مسيرتها التاريخية في ابتكار زخرفية حروف الخط العربي يختلف عن غيره من الخطوط بما يحمله في جعبته من مقومات فنية تشكيلية وجمالية في الحضارة الإسلامية.

ومما لا شك أن الفن الخاص بالخط العربي يعكس التطور الواضح في أسلوب الخطوط العربية المعاصرة وأنماطها، كما كان عليه الحال في غيره من العصور، ويؤكد ذلك استخدامه في الأعمال الفنية كالزخرفة الإسلامية والتشكيل

* المؤلف المرسل

الفني للأحرف، كما أن هناك أعمال فنية عديدة تشهد بدقة التنفيذ والبراعة والتقانة في استخدام الحروفية التي تختزن جماليات فريدة من نوعها سادت عليها النزعة الدينية المتأثرة بالحضارة الإسلامية.

في هذا السياق جاء عنوان هذه الدراسة الموسوم ب" مدرسة الحروفية في الجزائر الخطاط خالدي خالد أنموذجا " محاولين الإجابة على الإشكالية التالية: **ماهو المسار التاريخي لتطور الحروفية في الجزائر؟ وماهي أهم الإسهامات التي قدمها خالدي خالد في هذا المجال؟**

إن أهداف هذه الدراسة تكمن في سعيها في الكشف عن أهم مصادر الحروفية وكيفية تطويرها لجماليات الخط العربي، بالإضافة إلى معرفة أهم الجوانب الوظيفية والجمالية والتعبيرية لهذه التجربة الفنية المعاصرة.

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي الذي يسرد الأحداث والوقائع التاريخية، وذلك في تتبع مسار الخط العربي، بالإضافة إلى المنهج السيميولوجي "لوران جيرفيرو" في تفكيك العمل الفني ودراسة النماذج الفنية المختارة.

2. بداية فن الحروفية وتطورها:

إن الجمال الفني في الخط العربي يكمن في درجة الإتقان والإجادة، التي تمثل درجة الكمال، وتكمن في التناغم الموسيقي الخفي، الذي ينبعث من إيقاع الحروف في تكرارها، واتصالها، وتطابقها، وتشابهها، وحركاتها، واتجاهاتها، كما يكمن في رقة أشكال الحروف، لتناسب أجزائها، وفي هذا يقول الإمام الغزالي: « كل شيء، فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو غاية الجمال... والخط الحسن كل ما يجمع ما يليق من تناسب الحروف وتوازنها واستقامة تركيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به، فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به [1] »، وقد راح الباحثون يقلبون أوراق السالفين لإيجاد المعلم الأول لفن الخط، من الآية الكريمة: « اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم »[2] .

لقد راجت الحروفية في نظر "شربل داغر" كعبارة دالة على نتاج فني عربي، لا بل على ظاهرة فنية عربية، دون أن تملك محتوى معرفيا دقيقيا[3]، ويمكن تقصي جذورها في توجه جديد طرأ على تطور الفن الحديث في الشرق الأوسط العربي، فبعد نكبة فلسطين عام 1948 بدأ الكثير من الفنانين يبحثون عن الأصالة في الفن وعن إمكانيات جديدة لمزج التراث بالحداثة، وهذا الأمر حفز على بروز جماعتان "جماعة الفن الحديث" التي نشأت في القاهرة عام 1946، و"جماعة بغداد للفن الحديث" التي تأسست عام 1952، وكان أول من أدخل الكتابة العربية في التصاميم بين العرب العراقيين (جميل حمودي ومديحة عمر)، بحيث انخرطا في الفن التجريدي حين أدخلا الحروف العربية في رسومهم نهاية الأربعينات، ومنذ ذلك الحين سار على نهجهما الكثير من الفنانين العرب داخل الشرق الأوسط وخارجه يستخدمون الكتابة العربية في رسومهم[4]، وفي هذا الصدد يقول عفيف البهنسي بأن ظهور الفن التجريدي نقل الخط العربي نقلة نوعية جعلته يعتبر أكثر من أنه مجرد تزيين، وهذا الأمر حرك الاهتمام بالرقش العربي كفن تجريدي، بل رأى مارسيل بريون في هذا الفن أساسا للتجريدية الحديثة[5]

لعل المفارقة التي نرى أولوية إبرازها عندما نتصدى لفهم القضايا الكثيرة التي أثارها الحرف العربي .

لقد اتصل الخط العربي باللغة في بادئ الأمر، لكن تطور أنماطه وتنوعها خلقت له جانبا جماليا جعل الكثير من المؤرخين يتساءلون حول قيمة التعبيرية والجمالية، والتي ظهرت جلية في أعمال الكثير من الخطاطين الذين أصبحوا يكتبون لوحات خطية فريدة من نوعها وهذا التميز والتنوع في الخط العربي جعل الرسام الاسباني بيكاسو يقول: " إن أقصى نقطة أردت الوصول إليها وجدت الخط الإسلامي سبقني إليها" . وهذه النقطة كان يقصد بها الحركة والتناغم الجمالي في اللوحة الفنية التشكيلية. ومن هنا يمكننا التعرف على الحروفية بمفهومها العام :

تعد الحروفية أحد الفنون التي أسسها الخطاطون المسلمون في بدايات القرن الرابع عشر ميلادي، وذلك من خلال توظيف الخط العربي بأنواعه في اللوحات التصويرية، مما أسهم في إيجاد صياغات تشكيلية جديدة أثرت فيما بعد على المدارس الأوروبية المعاصرة كالتجريبية مثلا استخدمت الحروفية الحرف العربي كإحدى مفردات التصوير مما أسهم في تأكيد هوية وتفرد الفن الإسلامي، بحيث اعتبر الحرف أيقونة ثقافية تشير بشكل مباشر إلى الحضارة والثقافة الإسلامية، كما تعد الحروفية استمرار للجهود التي قام بها الخطاطون المسلمون في مطلع فجر الإسلام، فالخط العربي ابتدأ بدور زخرفي جمالي، فيما بدأت الحروفية العربية المعاصرة مع جماعة البعد الواحد في العراق، كما أنها الحركة الأحدث التي اهتمت بإدخال الحرف العربي إلى جسد اللوحة التشكيلية[6] .

ومما لا شك فيه أن الحرف العربي يحمل في جعبته قدرات كامنة تمكنه من التعبير عن الحركة والكتلة وإثراء العلاقات البنائية في العمل الفني الواحد بين الأشكال والألوان على الإزاحة والتركيب، جعل الكثير من ممارسي الحروفية يعتقدون أن لكل حرف قدرات كامنة ومضامين غير مباشرة قد تؤثر في عواطف ومدارك المتلقي سلبا أو إيجابا، فقال الفنان العربي الكبير (حسن شاكر آل سعيد) في هذا الصدد: « الحروف مروحة في يد امرأة جميلة، تضمنها فتختفي الرسوم والألوان في مقبض المروحة الشبيهة بحرف الألف، أو تفتحها فيتحول الحرف إلى حدائق وأزهار وشموس مشرقة وساحرة » [7].

وقد اعتبرت الحروفية هذه اللغة التعبيرية الجمالية، من منابع الكتابات العربية القديمة وخطوطها، ويمكن العودة بها إلى أصولها المكتشفة وروافدها الأساسية هي الكتابات النبطية، التي تعد من أقدم الكتابات تاريخا وحضارة، والتي استنهضت كبوتها وبدأت ولادتها خلال أربعينات القرن العشرين بعد انفتاح واطلاع الفنانين الحروفيين العرب على تجارب غيرهم من الفنانين العالميين المختلفة[8]، وهذا ما أكده الباحث (الألفي) أن الصورة الأولية للخط العربي لا تبتعد كثيرا عن صورة الخط النبطي، ولم يتحرر الخط العربي من هيئته النبطية إلا بعد أن استعاره العرب الحجازيون لأنفسهم لقرنين من الزمن وقد أطلق عليه باسم " الخط الحيري" أو "الأنباري" وكان على شكلين: الخط المقوّر وهو الخط اللين المعتمد عليه في الكتابات العادية، والخط المبسوط وهو الخط الذي استعمل في النقش على المحاريب وأبواب المساجد وكتابة المصاحف[9] .

3. القيم التعبيرية والجمالية للحروف العربية:

للخط العربي قدسية واحترام عند العرب، سعوا نحو تجويده كتابة ورسما من خلال محاولاتهم لضبط الأحرف منفردة وبيان مساحة خانة كل حرف وما يجب أن تكون عليه، سواء كان الحرف منبسطا أو مقوسا أو غير ذلك..، وهذا الأمر جعله يعتبر من أهم الأسباب التي أدت إلى إتقان هذا الخط وإجادة كتابته[10]، فهندسة فن الخط تعني تقدير أبعاد الحروف ورسم أشكالها وفق نسبية معينة تستمد جمالها من طبيعة الأشياء، وتعد النسبة الفاضلة التي وضعها بن مقلة من أولى المحاولات التي أرست هذه العلاقة وقيدت الخط بنسبة ثابتة لا تتغير حتى عرف بالخط المنسوب، واتخذ شكل النقطة المربعة المرسومة بالقلم نفسه والتي تعتبر جزءا من الحرف —وسيلة لقياس أبعاد الحروف–، ومن الجدير بالذكر أن مقياس الحروف بواسطة النقطة، وأصبح منذ عهد ابن مقلة الوسيلة لتحديد العلاقة العضوية بين أجزاء الشكل للتعبير عن علاقات فنية صحيحة، وجمال الحروف عند ابن مقلة لم يتحدد بإتقان قياساتها وإنما اشترط لجودة الكتابة أسسا معينة تحقق جانبين أساسيين:

أ- التوفية: وهو أن يوفى كل حرف ومكوناته من الخطوط بصورة كاملة ضمن خصائص تلك الخطوط الشكلية (المقوسة والقائمة والأفقية والمنحنية).

ب- التمام: وهو إعطاء الحروف حقها في أبعادها من طول وقصر وكبر وصغر.

ت- الإكمال: وهو إعطاء هيئة الحرف حقها من الخصائص في الإستقامة والتسطيح والميل والاستلقاء والتقويس.

ث- الإشباع: وهي الخاصية التي تتعلق بالقلم مباشرة في الكتابة بصدره، وإعطاء الحروف حقها من الدقة والغلظة كل في محله.

ج- الأرسال: وهو الميزة التي يجب أن يكتسبها الخطاط، في انسياب حركة القلم بدون تردد أو توقف أو رعشة[11].

إنّ اكتساب الحرف العربي عصرنة حديثة كرمز إسلامي له وجوده وكيانه ، يقدم تجربته كقيمة شكلية وكقيمة جمالية ،

تتعالق وخاماته لتكسبها بعداً نفسياً متفرداً ، فمن الناحية التعبيرية فإن لكل تقنية خصوصية متميزة سواء تمثلت هذه التقنية بالبنية التركيبية الشكلية من لون وملمس ، أم تمثلت بالنظام الشكلي المستدعى ، علاوة على العلاقات الخاضعة لمتغيرات الأداء الوظيفي كما هو الحال مع التكوينات الحروفية المقروءة ، فهناك تكوينات ذات طابع زخرفي ، وهناك ما هو معد في تصميمه استجابة لمتغيرات وظيفية، كأن تكون مساحات أو إعلانات ... الخ، وهذا بالذات ما تحدده القيمة التعبيرية " فالمضمون التعبيري لأي عمل فني لا يكون على ما هو إلا بسبب العناصر المادية والتنظيم الشكلي والموضوع ، والفارق يكون هنا في فن الخط المميز له، إن هذه الرؤية تقودنا إلى أنّ الاستخدامات المعاصرة لجميع أنواع الخطوط العربية، والتي لم تعد ملتزمة باستخداماتها التأريخية بل أضحت مجالا للأداء الفني المتنوع بما تحققه من قيمة جمالية، فبعد ما أدرك الفنانين ثراء الحرف العربي وطاقته الترميزية على

المستوى البصري والتشكيلي، وتكونت له قيمة تعبيرية نابعة عن رمزية وجمالية خاصة محققا جمالية عبر علاقة ترابطية للحروف مع بعضها البعض وتناسقها في هيكلية السطح البصري[12].

منذ بدأ استخدام الحرف العربي وجد اهتمام من قبل الخطاطين والمفكرين والمهتمين بالفن والرقش العربي، ولم يكن في ذلك الحين اتصال مباشر بين الفن والخط العربي، لكن نظرية البعد الواحد جعلت هذا الارتباط يتجسد كقيمة وليس كتقنية وهذا ما اعتقده آل سعيد. والمقصود هنا بـ "البعد الواحد" هو اتخاذ الحرف الكتابي نقطة انطلاق للوصول إلى معنى الخط كقيمة شكلية للحرف[13]، ومن أهم مميزات هذه النظرية:

- اعتبار التشكيل بالخط العربي فن تجريدي عربي، فهو تجسيد للقيمة الجمالية الموجودة فيه.
- إنّ نظرية البعد الواحد تستلهم الحرف في الفن التشكيلي وهذا هو شعارهم.
- تأكيدها على الذهنية التي يتميز بها الفنان العربي المعاصر.
- قيام الإبداعات الفنية في الخط العربي أسس وركائز هي المحور المكاني والمحور الزماني والمحور الذاتي والمحور الذاتي فتداخل هذه المحاور مع بعضها الآخر يكون صيغة الخط كعمل فني متكامل الشخصية[14] .

4. ترجمة الفنّان خالدي خالد:

نشأ الفنان خالد خالدي في أسرة فقيرة الحال، بمنطقة ريفية صحراوية تسمّى " الرّحيات" ببلدية البيوض ولاية النعامة، حيث كان نشاط العائلة تربية المواشي والأنعام، أبوه خالدي معمّر مجاهد في صفوف الثّورة التحريرية وأمّه بحري عائشة، ولد خالد في يوم الواحد والعشرين من شهر ماي سنة ألف وتسعمائة وواحد وسبعون، في ربيع كان مميز، إنتقل والده للعمل في صفوف حرس الحدود المغربية، ممّا أجبر الأسرة على الرّحيل إلى بلدية البيوض وشراء مسكن هناك، ترعرع خالد في بيئة ريفية بسيطة مما جعلت منه فنانا قبل أوانه ، ذلك لتأثره بتلك المناظر الطبيعية والواسعة الفسح التي تعطي خيالا خصبا ووكبيرا للطّفل قبل نضجه.[15]

لم تكن للفنان خالد تسهيلات في تحقيق مبادئ المستقبل المشعّ بالتحقيقات والنجاحات العائلية، ممّا أرغمه على التكفّل بمصاريف عائلته وأمّه التي كانت له معها علاقة جبليّة حميمية، وكانت سببا في نجاحه وسندا في تحقيق أهدافها، فقد أرغمته على الزّواج مبكّرا وهو لايتجاوز سنّالخامسة والعشرين، فأنجب بنتين وولد، ثم إنتقل بعد ذلك بمدينة عين الحجر أين اشترى مسكنا واتقرّ هناك، وفي هذه المرحلة حقق الأستاذ خالد ترقية في رتبة مدير مدرسة ممّا ساعده على الطّموح أكثر، لكنه انفصل مع زوجته الأولى وعاش فترة قاسية من الزّمن.[16]

أصبح للفنان سيد في الوطن الجزائري يتجوّل من ولاية إلى ولاية أخرى، ويحقّق النّجاحات، ناهيك أنه يجمع بين الحرفة والصّنعة والممارسة العلمية في البحث، فقد أثرى هذا الأمر بمساهماته في القيام بمحاضرات، في شتى التخصصات التشكيلية وخاصّة المتعلّقة بالخط العربي، بالجامعات والنّدوات الوطنية وحتى الدّولية، مع تأطيره للعديد من الورشات على المستوى الوطني والدّولي، وحصوله على جوائز وتكريمات وطنية ودولية وأهمّها ملتقى العقبة الدولي بالأردن.[17]

له عدة مشاركات نذكر منها على سبيل المثال لا للحصر:

المسابقة الولائية للخط العربي بولاية النعامة 1989

-المهرجان الوطني لربيع الفن التشكيلي بولاية سكيكدة1995

-المهرجان الوطني للفن الشكيلي والتقليدي بولاية سعيدة 1996

-عكاظية ولاية النعامة للفنون التقليدية 1999

- مشاركة بولاية بلعباس للطلبة الجامعيين لجناح معرض اللوحات الزيتية 2003

- تمثيل ولاية سعيدة في تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2012الفن التشكيلي

- عضو لجنة التحكيم من طرف وزارة الشبيبة والرياضة في المهرجان الوطني للخط العربي للشباب2013

- الصالون الوطني للزخرفة الإسلامية والخط العربي بمستغانم 2014

- عضو لجنة التحكيم من طرف وزارة الشبيبة والرياضة للمهرجان الوطني للخط العربي للشباب 2014.[18]

5. تحليل لوحة" " حلية شريفة كتابة الخطاط خالد خالدي الجزائري طولها78.5سموعرضها63سم"

أخلاقيات وأدب تنفيذ اللوحة : وعليه فكل نشاط مادي في ظل الحضارة الإسلامية له غاية أخلاقية وبعد روحاني يجمع بين العفة والطهارة ، وفيه جانب سلس من الاعتدال والتوحيد... ويتمثل الجمع بين الروحية المعتدلة والمادية المقتصدة في الآية الكريمة :

" وإبتغى فيما ءاتك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا" [19]

تحليل الحلية الشريفة التي كتبها الخطاط خالد خالدي الجزائري :

الوصف: حلية نبوية شريفة من كتابة الخطاط خالد خالدي الجزائري بإجازة من الأستاذ احمد صفار باتي ، طولها 78.5سم وعرضها 63سم ،مستطيلة الشكل على الطول، مجزأة إلى ثلاثة أجزاء، بسملة وصدر وهو المتن، ونهايتها بآية كريمة . استغرق العمل منذ تكوين الفكرة إلى غاية نهايته حوالي خمسة عشرة يوما، بمعدل العمل ستة ساعات يوميا حسب الظروف والحالة النفسية ، ناهيك أن العمل انقسم لأربعة مراحل .

1) **مرحلة التكوين:** وهي التفكير في أسلوب وطريقة للتصميم الأول خاص بالحلية الشريفة ، اقتصر على جمع اللوازم التي نحتاجها خلال العمل.
2) **مرحلة التصميم:** وهي مرحلة تستغرق وقتا طويلا لأنها تخص الأبعاد والقياسات والأساس قبل الإنجاز.
3) **مرحلة التنفيذ:** وهذه المرحلة هي كتابة الأجزاء كل واحد على حدا قبل إلصاقه، وتصحيحه والتأكد من صحة متنه.
4) **مرحلة التركيب:** وهي الأصعب في اللصق والإنسجام الذي يتناسق مع اللون والمكان الموجود فيه.
5) **مرحلة الترتيش:** وهي أصعب وأطول مرحلة يستغرق فيها الخطاط لإخراج عمله حيث يحف أو يضيف للحرف باستعمال إبر حادة حول الحرف ليعطيه حدة قوية وتناسب جمالي للعين.

التحليل: مكتوبة على نوعين من الورق المقهر منها ماكتبت عليه البسملة والمتن، ورق مقهر[20] هندي أصلي وما كتبت عليه الرؤوس أجزاء أسماء الخلفاء من ورق تركي أصلي، ملفوفة بورق مذهب ليس أصلي، ومحاطة بورق الأبرو[21] منجز يدويا من طرف الفنان خالد خالدي الجزائري، مكتوبة بحبر يعقوب اسود قح، مرتشة ترتيش[22] سلس ودقيق، الإطارات الصغيرة ملفوفة بأجزاء من الورق المذهب ليس أصلي ، والهلكار[23]هو إطار مستعمل للزينة.

التفسير: تضمنت اللوحة أوصاف النبي عليه أزكى الصلاة والسلام وهي صفاته الأخلاقية والروحية والجسمانية التي وصفها به علي كرم الله وجهه.استعمل فيها أربعة خطوط وهي :

البسملة : خط المحقق سمك 3مم التوقيع : بخط الإجازة 1مم.كتب بقصب الخيزران.[24]

النص : نسخ دقيق 1.5مم كتب بريشة أوزميرولد.ozmirolde.

الآية الكريمة : ثلث إعتيادي ،سمك 1مم، كتب بقصب الخيزران أو البومبو،bombo.

الورق : كتبت على الورق المقهر هندي وتركي .

التجميل : ورق الأبرو منفذ بالألوان الترابية الطبيعية.

الحبر:الأسوداسمه يعقوب أصيل ، والأحمر اسمه كالي calliمصنوع.

التقييم:فيها بعد تصوفي الكامل للمحبة المحمدية وعلاقة الخطاط في تجسيد اللون الأخضر الذي يعبر عن الوقار والطهارة والتوحيد ، وهذا الجانب يخدم وجدان عالي وحس مرهف روحي معنوي لحياة الفنان، وينير الحس الجمالي عن طريق ممارسة كتابة أوصاف النبي .

توظيف جمالية اللون وروعة الخط لصفات النبي يعطي للمتذوق والمتلقي جانبا تصوفيا وجدانيا فيه حياة روحية يعيشها طيلة قراءته للحلية الشريفة والتمعن فيها أكثر يزيد للمتلقي بهاء ووقار وطمأنينة بعيدة عن القبح والنظرة التشاؤمية الخالية من الحكم الساذج، ويستفيد من خلالها بمتعة وراحة أثناء النظر، ويكسبه الأجر للقراءة والأجر لكاتبها.

الخطاط خالد خالدي الجزائري كتب نصّ الحلية كلها في دائرة دون يقسمه على جزئين كما هو معهود، ومن ثم استغل المستطيل السفلي في كتابة الآية.

مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[25] ، أو قوله تعالى:

﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[26]، أو قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾[27]، أو قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾[28]، أو قوله تعالى :

﴿ **قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا** ﴾[29]، أو قوله تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾[30]، والنص القرآني يكتب دائما بخط الثلث الجلي،[31] وهو الشكل المتفق عليه.

النص كاملا : ﴿عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كان إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان علي رضي الله عنه إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد وكان ربعة من القوم ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط كان جعدا رجلا ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكان في الوجه تدوير أبيض مشرب أدعج العينين أهدب الأشفار جليل المشاش والكتد أجرد ذو مسربة شثن الكفين والقدمين إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب وإذا التفت التفت معا بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين أجود الناس كفا وأشرحهم صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده، مثله، صلى الله عليه وسلم ﴾،[32] حديث صحيح.

الحلية الشريفة :هي إحدى اللوحات الخطية التي تتميز بثبات الشكل العام مع إمكانات تنويعية داخلية تسمح للخطاط بالتفنن فيها، ووضع بصمته الخاصة على اللوحة، وكان يعد من أصول الإتقان أن يكتب الخطاط حلية شريفة أو عدداً من الحليات الشريفة، ولأن الحلية هي لوحة مقدسة تصنع لتزين بها جدران القصور والمنازل والمساجد، فقد عني الخطاطون بإخراجها بصرياً، بحيث تكون مشغولة بكل عناصر فن الخط والزخرفة الإسلامية، فكأن عين الناظر لها تسرح في حديقة غناء، مملوءة بالأزاهير والنباتات، بل فيها أيضا بناءات هندسية جذابة، والحلية الشريفة هي نص في وصف النبي، صلى الله عليه وسلم، يستخرجه الخطاطون من كتب الحديث

الشريف، وحسب إحدى الروايات الكثيرة الواردة في صفاته ،صلى الله عليه وسلم، الخَلقية والخُلقية، وأكثر النصوص اعتمادا لدى الخطاطين، هو الوصف المأثور عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد وصف الرسول ،صلى الله عليه وسلم ، بكلام جميل ساحر موقّع الألفاظ متوازن المقاطع، ما يسمح للفنان الذي يكتبه بخيارات عدة لصناعة تكوينات متماثلة تعطي للّوحة إيقاعا جميلا، وقد كان الخطاط الحافظ عثمان (1642 م-1698 م)، هو أول من خط لوحة الحلية الشريفة.(الصورة 51)[33].

تلبي لوحة الحلية هدفين: أحدهما تعبدي روحي وهو الاحتفاء بصفات النبي، صلى الله عليه وسلم، واستحضار صورته وهيبته في القلب وما ينشأ عن ذلك من حب له، والهدف الثاني جمالي إمتاعي، وهو يخدم الأول بالضرورة، فلا يليق بهذا الجمال في الصورة الخَلقية والخُلقية لأفضل خلق الله إلا لوحة متناهية في الجمال الصوري، وقد اشتغل خطاطوا الحلية الشريفة على مستويات فنية عدة، أولها الخط، حيث تجمع الحلية أربعة أنواع من الخطوط العربية الأصيلة، التي لا يتصدى لها إلا من كان بارعا في هذا الفن، نظرا لدقة قواعدها والحاجة إلى تمام إتقانها، وهذه الخطوط هي الثلث، وهو من أجمل أنواع الخطوط وأصعبها في الوقت نفسه، وخط المحقق، وهو خط قديم قل استخدامه في الراهن، ويمتاز بأنه يجمع بين الإتقان الفني والوضوح، وطول الحروف وطول المدات وتوازنها، وهو بين الثلث والنسخ، وخط النسخ وهو أشهر الخطوط، ويحتاج إلى براعة ورهافة قلم لأنه يشترط فيه الوضوح، والخط الفارسي وهو من خط النسخ، لكن فيه رشاقة وانسيابية .

المستوى الثاني هو العمل على الكتل حيث تقسم اللوحة إلى ثلاثة أجزاء أساسية: في الجزء العلوي تكتب البسملة أفقيا بخط الثلث أو المحقّق، والجزء الأوسط وهو الأكبر يكون نص الحلية الشريفة بخط النسخ أو الفارسي، ويكتب أفقياً لكن أسطره تتناقص باتجاه الأعلى والأسفل بما يسمح بتكوين دائرة حوله، وفي الجزء السفلي ختام النص بالصلاة على النبي وآله، وتوقيع الكاتب، وهو بالنسخ أو الفارسي أيضا، ويفصل بين كل جزأين بآية قرآنية في وصف الرسول الأعظم، مثل آية «إنك لعلى خلق عظيم» أو غيرها، وخطها إما أن يكون بالمحقق أو الثلث.

المستوى الثالث هو الزخرفة التي تأخذ الحيز الأكبر من الحلية، فتحاط اللوحة بمربعات من الزخرفة النباتية المتنوعة والمتدرجة بحيث تفصل بين كل نوعين منها مربع ذهبي، ويحاط النص الأوسط بدائرة ذهبية خطٌّ محيطها عريض في الأسفل والجانبين، ويتناهى في الرقة في الأعلى حتى يكون على شكل قمر، ويعطي التذهيب سطوعاً نورانياً للدائرة كأنها للإشارة إلى نورانية النبي، صلى الله عليه وسلم، الذي يشبه بالشمس وبالقمر، وحول هذه الدائرة دوائر صغيرة في الأركان الأربعة تكتب فيها أسماء الخلفاء الأربعة، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ويشكل اللعب على التدوير والتربيع بعدا آخر في الأبعاد الروحية الإسلامية، خاصة عن الصوفية، استثمره الخطاطون بجدارة في القديم لم يكن الخطاط يترك أي فراغ بين فقرات الحلية إلا وملأه بالزخرفة، لكن الخطاطين المحدثين لم يلتزموا بذلك، فنرى في نماذج كثيرة خلو اللوحة من الزخرفة، واعتماد الخطاط على الهندسة والتكوينات

الخطية، وصنع الكتل المتوازنة، كما لوحات عوني النقاش، ومثنى العبيدي، وأحمد فارس العلي الذي استخدم أيضا الخط الديواني الجلي والطغراء، والأستاذ الجزائري أمحمد صفار باتي وهي الحلية التي سنتحدث عنها في هذا التحليل الأيقوني الفني.

6. خاتمة:

لقد سعت دراستنا في التعرف على حركة فنية جديدة في الخط العربي، وهي الحروفية العربية في الجزائر، فمن خلال هذه الدراسة تمكنا من التعرف على أهم مامیّز هذه الحركة الفنية، وعلى اهم فنانيها وواحد من أهم روادها" خالدي خالد"، و قمنا بتسليط الضوء على أهم مصادر الحروفية ألا وهو الخط العربي، ومنه توصلنا إلى مجموعة من النتائج:

1. الحروفية تجربة معاصرة في الخط العربي.
2. رسمت هذه التجربة الفنية الحديثة مسارا في التراث الفني الاصيل.
3. الحروفية مدرسة قائمة بذاتها في الجزائر ولها روادها.
4. منحت الحروفية الفنان الجزائري الحرية الواسعة في صياغته وتعبيره للحرف العربي باسلوبه الخاص، وانتجت لنا نماذج عالمية.

7. الإحالات والهوامش:

[1]– إياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط1، 1424هـ-2003، ص 80.

[2]– الآية الرابعة من سورة العلق.

[3]– شربل داغر، الحروفية العربية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1990، ص11

[4]–سونيا ميشار الأتاسي، إعادة إدراج الذات في الشرق الأوسط، دفاتر الفنان لإيتيل عدنان في سياق الحروفية العربية، الآداب، ص 91.

[5]– عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، 1979، ص 90.

[6]– وسام عبد المولى، ملتقى الطرق للفنون البصرية، جامعة السلطان قابوس، 2015، ص 38.

[7]– محمود شاهين، الحروفية العربية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012، ص 21.

[8]– طارق حبيب سعيد، التكوينات الحروفية في اللوحات التصويرية للفنانين جميل حمودي وسامي برهان، المديرية العامة للمناهج، وزارة التربية، العراق،ص03.

[9]– محمود شاهين، الحروفية العربية م س، ص10.

[10]– رضا احمد، رسالة الخط العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص90.

[11]– عبد الله بن عبده فتيني، جماليات التشكيل بالخط العربي وعلاقتها بالمضمون اللفظي، دراسة حالة، السعودية، 1426هـ، ص15-16.

[12]– زينب كاظم صالح البياتي، الحروفية في أعمال الخزاف العراقي المعاصر أكرم ناجي، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد2، المجلد5، ص163.

[13]– شربل داغر، الحروفية العربية، م س، ص 41.

[14]– سعيد نصري، ماهر عزام، ملحق الثورة الثقافي، العدد 138، دمشق، ص212.

[15] مقابلة مع الخطاط خالدي خالد يوم

[16] مقابلة مع السيدة جميلة عبابسية، فنانة تشكيلية جزائرية، محادثة عن طريق الفايسبوك، يوم 15 جويلية 2020 على الساعة 17:58، صفحتها: https://www.facebook.com/profile.php?id=100009425149213&sk=photos_all

[17] مقابلة مع الفنان

[18] مقابلة مع الفنان

[19] سورة القصص الآية 77

[20] **الورق المقهر**: هو ورق مسقل ومقهر بالبيض والنشاء وهو صالح للكتابة والبقاء أكثر من 4000آلاف سنة.

[21] **ورق الأبرو**:وهو ورق مزخرف بالألوان الترابية وهي تقنية صينية وتركية.

[22] **الترتيش** : وهي تقنية تستعمل في تحريف الحرف إما الإضافة له أو النزع منه للوصول به الى شكلة الأصلي.

[23] **الهلكار** : هو الإطار الزخرفي الذي يحيط بالحلية وهو لفظ تركي.

[24] **الخيزران** : وهو قصب يأتي من إحدى الجزر الموجودة بأنونيسا وهو صالح للإستعمال والكتابة.

25 سورة الأنبياء الآية 107

26 سورة القلم الآية 4

27 سورة الإسراء الآية 105

28 سورة الأحزاب الآية 45

29 سورة الرعد الآية 43

30 سورة الفتح الآية 27-28

31 انظر شكل تفصيلي عن التصميم المتفق عليه لرسم الحلية الشريفة رقم (10)

[32] القلقشندي ، الصبح الأعشى ، المرجع السابق، ص 171

[33] الصورة رقم 51، ص 228.